مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 23 عدد: 46 السنة: 2019

كتب وفيات الأعلام وفوائدها العلمية – وفيات الونشريسي نموذجا–

books deaths of the flags and their scientific benefits deaths book wancharissi as example

د.أحمد لشهب

كلية الشريعة والاقتصاد

جامعة الأمير عبد الفادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة

ahmedlecheheb79@yahoo.com

تاريخ الوصول: 2018/06/04القبول:2019/03/06/ النشر على الخط:2019/03/15

Received: 04/06/2018 / Accepted: 06/03/2019 / Published online: 15/03/2019

الملخّص:

يتناول البحث كُتب وفيات الأعلام مبيناً مفهومها، وأهميّتها، ودورها في صيانة السُّنّة النّبويّة، ويعرّف بجهود العلماء في التّأليف في هذا الفن من خلال عرض موجز لعدد من كتب الوفيات المشرقيّة والمغربيّة، ثمّ ينتقل البحث ليعرّف بالونشريسي وكتابه الوفيات، ويستخرج منه جملة من الفوائد العلميّة والبيانات والإشارات التّاريخيّة.

الكلمات المفتاحية:

كتب الوفيات – الفوائد العلمية – الونشريسي – التاريخ

Abstract :

This research paper examines the books pertaining to the topic known as "the necrology of famous people". It first tries to clarify the concept, show its significance and its role in protecting the Sunnah, i.e. the guidance, of the prophet Mohammed –peace be upon him. It then demonstrates, through the review of some oriental and occidental necrologies, the efforts of scholars dedicated in this subject matter. The paper finally analyses the Wancharisi's book, that is, the necrology of famous people, entitled as "el-wafawet", in a bid to extract and unveil some scientific and historical lessons.

Keyterms :

Necrology of famous people – scientific lessons – wancharici- history.

مقدّمة:

لا يخفى ما للتّاريخ من أهميّة في نقل الأحداث وتحليلها؛ لاستخلاص الدّروس والعبر، والإسهام في قراءة الواقع، واستشراف المستقبل، وقد بذل المؤرّخون المسلمون جهوداً كبيرة في تدوين التّاريخ الإسلاميّ فأسهموا بذلك في وضع أسس الكتابة التّاريخيّة. ولم تقتصر الكتابة التّاريخيّة عندهم على لون واحد، بل أخذت أشكالًا كثيرة منها: التّاريخ العامّ، والتّاريخ الخاصّ، وكتب السّير والتّراجم، وكتب الوفيات، وغيرها..

واحتلّت كتب التّراجم مكانة كبيرة بين كتب التّاريخ العامّة والخاصّة حيث لقيت اهتمام العلماء منذ البدايات الأولى لتدوين العلوم، وتعدّدت مناهج الكتابة فيها، كترجمة الأعلام حسب طبقاتهم، أو أنسابهم، أو مذاهبهم، أو تخصّصاتهم، أو بلدانهم، أو سني وفاتهم، وهي جميعها تُشكِّل قيمة مصدريّة قديماً وحديثاً.

وقد انبرى للكتابة وَفق المنهج الأخير كبار العلماء والمؤرِّخين في المشرق والمغرب، كابن خلّكان وابن شاكر الكتبي وصلاح الدِّين الصّفدي، وابن قنفذ القسنطيني، وعبد السّلام بن سودة المغربيّ.

ويُعدُّ الفقيه أبو العبّاس أحمد الونشريسي أحد علماء المغرب الإسلامي الذي أسهموا في الكتابة في هذا الفنّ من خلال كتابه الموسوم بـ "وفيات الونشريسي".

ويمكن صياغة إشكاليّة البحث على النّحو الآتي: ما طبيعة المعلومات التّاريخيّة التي يكتنزها كتاب وفيات الونشريسي؟ وما قيمتها العلميّة؟

ويتفرّع عن الإشكاليّة الرئيسيّة تساؤلان فرعيّان، هما: ما الأهميّة العلميّة والتّاريخيّة لكتب الوفيات؟ وما أبرز الجهود المبذولة في الكتابة في هذا الفنّ؟

لم أقف -في حدود علمي- على دراسة أو بحث تناول كتاب وفيات الونشريسيّ، لهذا بادرت للكتابة عنه، مستفيداً ممّا كتبه مصطفى الشّكعه في "مناهج التّأليف عند العلماء العرب"، الذي عرّف بمناهج بعض كتب التّراجم، وكما استفدت أيضاً من مقدّمات عدد من محقّقي كتب الوفيات.

المبحث الأوّل: مضمون كتب الوفيات والجهود عليها

المطلب الأوّل: مضمون كتب الوفيات

تُعَدُّ كتب الوفيات فنّاً من فنون التّراجم[1]، وفي هذا المطلب أعرف بها، ومبيّناً أهميّتها، ودورها في صيانة السُّنّة النّبويّة.

الفرع الأوّل: التّعريف بكتب الوفيات وأهميّتها

يُقصد بكتب الوفيات: الكتب التي أرّخت لوفيات العلماء والمشاهير والملوك وغيرهم في كلِّ عصر من العصور، مع ترجمة يسيرة أو طويلة، حسب الشّخصيّة المترجم لها[1].

[1] طاش كبرى زاده، مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلميّة- بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ/1985م، (231/1).

وهي من أولى العلوم التي يُطلب معرفتها وتحصيلها، إذ لا غنى لباحث عنها، يقول أبو عبد الله الحميدي (ت: 488هـ): ((إنّه ممّا يجب تقديم التّهمُّم[2] به: وفيات الشُّيوخ))[3].

وقال الحافظ ابن عبد البر (ت: 463هـ): ((معرفة السِّير وأيّام الإسلام وتواريخ أعمال الأنبياء والعلماء والوقوف على وفاتهم من علم خاصّة أهل العلم، وأنّه ممّا لا ينبغي لمن وسم نفسه بالعلم جهل ذلك، وأنّه ممّا يلزمه من العلم العناية به))[4].

وتظهر أهميّة كتب الوفيات فيما يأتي:

1- معرفةُ ما في سند الحديث النّبويّ من انقطاع، أو عضل، أو تدليس، أو إرسال ظاهر أو خفي[5]، قال شرف الدِّين الطِّيبي (ت:743هـ) عن علم التّواريخ والوفيات: ((وهو فن مهمٌّ به يُعرف اتّصال الحديث وانقطاعه، وقد ادَّعى قوم الرِّواية عن قوم، فنُظِر في التّاريخ فظهر أنّهم زعموا الرِّواية عنهم بعد وفاتهم بسنين))[6].

2- تمييزُ المؤتلف والمختلف، والمتّفق والمفترق من الأسماء والأنساب[7].

3- معرفة أعمار الشُّيوخ تحديداً أو تقديراً، فيتبيّن طبقة الشّيخ، ومَن أدرك من الشُّيوخ، ومن أدركه من التّلاميذ[8]، يقول حاجي خليفة (ت: 1067هـ): ((ومن المعلوم أنّ التّاريخ من أنفع العلوم، إذ هو -كما قيل- نوع من المعاد، وإحياء ما اندرس من رسوم البلاد والعباد، سيما علم الوفيات فإنّه من جملة الواجبات، لأنّ النّاس على طبقاتٍ مختلفةٍ ومراتب غير مؤتلفة))[9].

الفرع الثّاني: دور كتب الوفيات في صيانة السُّنّة النّبويّة

اهتمّ المحدِّثون بمعرفة وفيات الرُّواة، لما لها من أهميّة في نقد إسناد الحديث، إذ استطاع النُّقاد عن طريق معرفة وفيات الرُّواة أن يتكلّموا على الرِّوايات، ويفضحوا الكذّابين، ويكشفوا حالات ادِّعاء السّماع، ولولا معرفة سني الوفيات لما استطاعوا نقدها[10].

---

(1) محمود حمدي زقزوق، الموسوعة الإسلاميّة العامّة، المجلس الأعلى للشُّؤون الإسلاميّة- وزارة الأوقاف المصريّة، القاهرة، 1424هـ/2003م، (1450).

(2) تَهَمَّمَ الشّيء: طلبَه، ويُقال ذهبتُ أَتَهَمَّمُهُ، أي أطلبُه. ينظر: الزَّبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحقّقين، دار الهداية، (119/34).

(3) زين الدِّين العراقي، شرح التّبصرة والتّذكرة ألفيّة العراقي، تحقيق: عبد اللّطيف الهميم وماهر ياسين فحل، دار الكتب العلميّة- بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ/2002م، (295/2).

(4) ابن عبد البر القرطبي، الاستذكار، تحقيق: سالم محمّد عطا ومحمّد علي معوض، دار الكتب العلميّة – بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، (54/3).

(5) محمّد السّخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقيّ، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السُّنة – مصر، ط1، 1424هـ/2003م، (309/9).

(6) شرف الدِّين الطّيبي، الخلاصة في معرفة الحديث، تحقيق: أبو عاصم الشّوامي الأثري، المكتبة الإسلاميّة للنّشر والتّوزيع والرّواد للإعلام والنّشر، ط1، 1430هـ/2009م، (163).

(7) محمّد الزّهراني، علم الرّجال نشأته وتطوره من القرن الأوّل إلى نهاية القرن التاسع، دار الهجرة للنّشر والتّوزيع، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1417هـ/1996م، (215).

(8) عبد الله الجديع، تحرير علوم الحديث، مؤسّسة الريّان للطّباعة والنّشر والتّوزيع- بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، (107/1).

(9) حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، 2010م، (1/1).

(10) مقدّمة محقّق كتاب ابن مندة الأصبهاني، المستخرج من كتب النّاس للتّذكرة والمستطرف من أحوال الرِّجال للمعرفة، تحقيق: عامر حسن صبري التّميمي، وزارة العدل والشُّؤون الإسلاميّة – البحرين، (7/1).

قال زين الدِّين العراقيّ (ت: 806هـ): ((الحكمة في وضع أهل الحديث التّاريخ لوفاة الرُّواة ومواليدهم، وتواريخ السّماع، وتاريخ قدوم فلان مثلا البلد الفلاني؛ ليختبروا بذلك من لم يعلموا صحّة دعواه))[1].

وقال السّخاوي (ت: 902هـ): ((يتبيّن بمعرفة الوفيات ما في السّند من انقطاع، أو عضل، أو تدليس، أو إرسال ظاهر أو خفيّ للوقوف به على أنّ الرّاوي لم يُعاصِر مَن روى عنه، أو عاصَره ولكن لم يلْقَه؛ لكونه في غير بلده، وهو لم يرحل إليها...))[2].

ويقول زين الدِّين المناوي (ت: 1031هـ): ((وبمعرفتها يحصل الأمن من دعوى المدّعي للقاء بعضهم، وهو في نفس الأمر ليس كذلك. ومنافع التّاريخ عظيمة، وفوائده جليلة، ألا ترى إلى واقعة رئيس الرُّؤساء مع اليهودي الذي أظهر كتاباً فيه أنّ المصطفى – عليه أفضل الصّلاة والسّلام– أسقط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادة الصّحابة، ومنه علي –كرّم الله وجهه – فوقع رئيس الرُّؤساء والنّاس في حيرة. فعرضه على الخطيب البغدادي فتأمّله، وقال: هذا مزوّر. فقيل له: من أين لك ذلك؟ فقال: فيه شهادة معاوية، وهو أسلم عام الفتح، وفتح خيبر سنة سبع. وفيه شهادة سعد بن معاذ، وقد مات في وقعة بني قريظة قبل خيبر بسنتين ففرح النّاس بذلك))[3].

المطلب الثّاني: جهود العلماء في تأليف وفيات الأعلام

لم يكن للمتقدّمين عناية بضبط بوفيات الشّيوخ كالمتأخّرين، يقول الحافظ الذّهبي (ت: 748هـ): ((ولم يعتن القدماء بضبط الوفيات كما ينبغي، بل اتّكلوا على حفظهم، فذهبت وفيات خلق من الأعيان من الصّحابة ومن تبعهم إلى قريب زمان أبي عبد الله الشّافعيّ... ثمّ اعتنى المتأخّرون بضبط وفيات العلماء وغيرهم، حتّى ضبطوا جماعة فيهم جهالة بالنّسبة إلى معرفتنا لهم، فلهذا حُفظت وفيات خلق من المجهولين وجُهلت وفيات أئمّة من المعروفين))[4].

وفي هذا المطلب أعرف بعدد من كتب المتأخّرين من المشارقة والمغاربة ممّن كانت لهم عناية بهذا الفنّ من التّراجم.

الفرع الأوّل: الجهود المشرقيّة في تأليف وفيات الأعلام

الكتاب الأوّل: "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان"، لأبي العبّاس شمس الدِّين أحمد بن خلِّكان (ت: 681هـ)[5]، وتقع وتقع وفياته بين القرن الثّاني وقرابة نهاية القرن السّابع للهجرة، والكتاب مرتّب على حروف المعجم، وفي هذا يقول: ((... فاضطررت إلى ترتيبه، فرأيت على حروف المعجم أيسر منه على السِّنين، فعدلت إليه، والتزمت فيه تقديم من كان أوّل اسمه الهمزة، ثمّ من كان ثاني حرف من اسمه الهمزة أو ما هو أقرب إليها، على غيره، فقدّمت إبراهيم على أحمد لأنّ الباء أقرب إلى

---

(1) العراقي، شرح التّبصرة والتّذكرة، مصدر سابق، (294/2).

(2) السّخاوي، فتح المغيث، مصدر سابق، (309/4).

(3) زين الديِّن المناوي، اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، تحقيق: المرتضي الزّين أحمد، مكتبة الرّشد – الرياض، ط1، 1999م، (346/2).

(4) شمس الدِّين الذّهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، ط1، 2003م، (10/1).

(5) حقّق الكتاب إحسان عباس، وصدر عن دار صادر ببيروت.

الهمزة من الحاء، وكذلك فعلت إلى آخره، ليكون أسهل للتّناول، وإن كان هذا يفضي إلى تأخير المتقدّم وتقديم المتأخر في العصر وإدخال من ليس من الجنس بين المتجانسين، لكن هذه المصلحة أحوجت إليه))[1].

أمّا المنهج الذي سار عليه ابن خلّكان في وفياته فنصّ عليه في مقدّمته بقوله: ((ولم أذكر في هذا المختصر أحداً من الصّحابة –رضوان الله عليهم– ولا من التّابعين –رضي الله عنهم– إلا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من النّاس إلى معرفة أحوالهم، وكذلك الخلفاء: ولم أذكر أحداً منهم اكتفاء بالمصنّفات الكثيرة في هذا الباب، لكن ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم، أو كانوا في زمني ولم أرهم، ليطّلع على حالهم من يأتي بعدي.

ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل: العلماء، أو الملوك، أو الأمراء، أو الوزراء، أو الشُّعراء، بل كلُّ من له شهرة بين النّاس، ويقع السُّؤال عنه ذكرتُه، وأتيتُ من أحواله بما وقفتُ عليه، مع الإيجاز كيلا يطول الكتاب، أثبتُ وفاته، ومولده إن قدرت عليه، ورفعت نسبه على ما ظفرت به، وقيّدت من الألفاظ ما لا يؤمَن تصحيفه، وذكرتُ من محاسن كلِّ شخص ما يليق به من مكرمة، أو نادرة، أو شِعر، أو رسالة ليتفكّه به متأمِّلُه))[2].

ويقول أيضاً: ((فإنّي بذلتُ الجهد في التقاطه من مظانِّ الصّحّة، ولم أتساهلْ في نقله ممّن لا يوثق به، بل تحريتُ فيه حسبما وصلت القدرة إليه))[3].

وقد أثنى على الكتاب المؤرِّخون، فقال عنه ابن كثير بأنّه: ((من أبدع المصنّفات))[4]، ووصفه الإمام الذّهبي بالنّفاسة، فقال: ((وقد جمع كتاباً نفيساً في وفيات الأعيان))[5].

وأهمُّ ميزات الكتاب وفوائده[6]:

1- أنّه يضمُّ خمساً وخمسين وثمانمئة (855) ترجمة لأعلام المسلمين والعرب، من الرِّجال والنِّساء على امتداد مساحة العالم الإسلامي.

2- يذكر الكتاب سنة الميلاد والوفاة ومكانهما لكلِّ عين يترجم له، وإذا كان هناك اختلاف بين المؤرِّخين في سني الوفاة أو الميلاد، فإنّه يذكر هذا الخلاف، ثمّ يرجّح ما يرى أنّه الصّواب.

3- في ترجمة ابن خلّكان لعين من الأعيان فإنّه يورد أهمّ ما يتّصلُ بشخصه من أحداث، أو أخبار، أو طرائف، أو نصوص شعريّة، أو نثريّة، أو مؤلّفات.

---

(1) شمس الدِّين أحمد بن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، طُبع الجزء 4 عام 1971م، والجزء 5 عام 1994م، وبقيّة الأجزاء (1-2-3-6) عام: 1900م، (2/1).

(2) المصدر نفسه، (2/1).

(3) ابن خلّكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، (3/1).

(4) إسماعيل بن كثير الدِّمشقي، البداية والنِّهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التّركي، دار هجر للطِّباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ/1997م، (588/17).

(5) الذّهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، (444/15).

(6) مصطفى الشّكعه، مناهج التّأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، ط15، 2004م، (478-479).

وممّا يؤخذ على الكتاب أنّ المؤلِّف –رحمه الله– يطيل في تراجم الشُّعراء دون العلماء، مع تركه تجريح الزّنادقة، قاله أبو الوفاء بن عقيل، مستدركاً على ابن خلّكان في ترجمته لأحمد بن يحيى بن إسحاق، أبو الحسين، المعروف بابن الرّاوندي، حيث قال: ((ورأيت في كتاب محقّق أنّه عاش ستّاً وثلاثين سنة مع ما انتهى إليه من التوغُّل في المخازي– لعنه الله، وقبّحه، ولا رحم عظامه– وقد ذكره القاضي ابن خلِّكان في "الوفيات" ودلّس عليه، ولم يجرحه بشيء... على عادته في العلماء والشُّعراء، فالشُّعراء يطيل تراجمهم، والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة، والزّنادقة يترك ذكر زندقتهم))[1].

إضافة إلى الوهم في تاريخ وفاته، قاله أبو الوفاء بن عقيل: ((وأرّخ – أي ابن خلِّكان – تاريخ وفاته في سنة خمس وأربعين ومائتين، وقد وهم وهماً فاحشاً، والصّحيح أنّه توفِّي في هذه السّنة– أي سنة 298هـ– كما أرّخه ابن الجوزيِّ وغيره))[2].

وهذا نموذج من وفياته من حرف الهمزة: ((أبو ثور صاحب الشّافعي: أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي الفقيه البغدادي صاحب الإمام الشّافعي –رضي الله عنه–، وناقل الأقوال القديمة عنه؛ وكان أحد الفقهاء الأعلام والثّقات المأمونين في الدِّين، له الكتب المصنّفة في الأحكام جمع فيها بين الحديث والفقه، وكان أوّل اشتغاله بمذهب أهل الرّأي، حتّى قدم الشّافعي العراق فاختلف إليه واتبعه ورفض مذهبه الأوّل، ولم يزل على ذلك إلى أن توفِّي لثلاث بقين من صفر سنة ستّ وأربعين ومائتين ببغداد، ودفن بمقبرة باب الكناس، رحمه الله تعالى. وقال أحمد بن حنبل: هو عندي في مسلاخ سفيان الثّوري، أعرفه بالسُّنّة منذ خمسين سنة))[3].

الكتاب الثّاني: "**فوات الوفيات**"، لمحمّد بن شاكر الكتبي (ت: 764هـ)[4]، تقع وفياته بين القرن الثّاني ومنتصف القرن الثّامن للهجرة، والكتاب مرتّب على حروف المعجم.

يذكر ابن شاكر في المقدّمة التي صدّر بها كتابه الغاية من تأليفه بقوله: ((فلما وقفت على كتاب "وفيات الأعيان" لقاضي القضاة ابن خلّكان– قدّس الله روحه– وجدته من أحسنها وضعاً لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة، والمحاسن الكثيرة، غير أنّه لم يذكر أحداً من الخلفاء، ورأيته قد أخلَّ بتراجم بعض فضلاء زمانه، وجماعة ممّن تقدّم على أوانه، ولم أعلم أذلك لذهول عنهم، أو لم يقع له ترجمة أحد منهم. فأحببت أن أجمع كتاباً يتضمّن ذكر مَن لم يذكره من الأئمة الخلفاء، والسّادة الفضلاء أذيِّلُ فيه من حين وفاته إلى الآن))[5].

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، (14/766-767).

(2) المصدر نفسه، (14/767).

(3) ابن خلّكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، (1/26).

(4) حقّق الكتاب إحسان عباس، وصدر عن دار صادر ببيروت، عام: 1393هـ/1973م.

(5) يقول إحسان عباس محقّق الكتاب: ((وفي ذكر هذه الغاية على هذا النحو شيء من المغالطة، فإنّ ابن خلكان قد صرّح بأنّه لا ينوي أن يترجم للخلفاء، وأنه لن يدرج في كتابه إلا من عرف سنة وفاته، ولم يكن إغفاله الكثيرين "لذهول عنهم أو لأنّه لم تقع له ترجمة أحد منهم" كما يدّعي الكتبي، وإنّما جرى ذلك خضوعاً لمنهج محدّد)). ابن شاكر، محمّد بن أحمد الكتبي: فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط1، الجزء1: 1973م، الجزء 2، 3، 4: 1974م، (1/2).

وللكتاب أكثر من ميزة، منها[1]:

1- أنّه ضمّ ثلاثاً وثمانين أربعمئة (483) ترجمة[2]، وتُشكِّل التّراجم للأدباء والعلماء الجانب الأوفر عددًا من بين تراجم الكتاب، وهو المسار نفسه الذي انتهجه سلفه ابن خلّكان.

2- ترجم ابن شاكر ما فات ابن خلّكان أن يُترجم لهم، وذلك واضح من عنوان الكتاب، فضلا أنّه مضى في التّرجمة لمشاهير الأعيان عام 753 للهجرة، أي قبل وفاته بأحد عشر عاماً.

3- أكثر ابن شاكر من التّرجمة لأعيان الأندلس، ولبعض شهيرات النِّساء مثل السّيِّدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن، وحمدونة الأندلسيّة الشّاعرة، وليلى الأخيلية، وعلية بنت المهدي العباسيّة، وفضل الشّاعرة جارية المتوكِّل.

وهذا نموذج من وفياته من حرف الهمزة: ((إبراهيم بن أدهم: إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، أبو إسحاق العجلي، وقيل النّخعي البلخيّ الواعظ أحد الأعلام، روى عن أبيه، ومنصور، ومحمّد بن زياد الجمحي، وأبي جعفر الباقر، ومالك بن دينار، وأبي نعيم، وأبي موسى، والأعمش... وقال النّسائي: إبراهيم أحد الزّهاد، وهو مأمون ثقة. وقال الدّارقطني: ثقة. وقال البخاري: مات سنة إحدى وستّين ومئة، وسيرته في تاريخ دمشق ثلاث وثلاثون ورقة وهي طويلة في حلية الأولياء، رحمه الله تعالى))[3].

الكتاب الثّالث: "**الوافي بالوفيات**"، لصلاح الدِّين خليل بن أيبك الصّفدي (ت: 764هـ)، تقع وفياته بين القرن الأوّل والقرن الثّامن للهجرة، والكتاب مرتّب على حروف المعجم.

أمّا منهج الكتاب فقد سار فيه مصنِّفه على خطّة واضحة، فيقول: ((فلا أغادر أحداً من الخُلفاء الرّاشدين، وأعيان الصّحابة والتّابعين، والْمُلوك، والأمراء، والقضاة، والعمّال، والوزراء، والقرّاء، والْمُحدِّثين، والفقهاء، والمشايخ، والصُّلحاء، وأرباب العِرفان والأولياء، والنُّحاة، والأدباء، والكُتّاب، والشُّعراء، والأطبّاء، والْحُكماء، والألباء، والعقلاء، وأصحاب النِّحل والبدع والآراء، وأعيان كلِّ فنٍّ اشْتهر مِمّن أتقنه من الْفُضَلاء... ولم أُخِلْ بِذكر وفاة أحد مِنهم إلا فيما ندر وشذّ وانخرط في سلك أقرانه وهو فذ؛ لأنِّي لم أتحقّق وفاته))[4].

ومن مزايا الكتاب[5]:

---

(1) الشّكعه، مناهج التّأليف عند العلماء العرب، مرجع سابق، (481).

(2) هذا ما ذكره مصطفى الشّكعه، بينما ذكر صاحب "اكتفاء القنوع بما هو مطبوع" أن فيه خمسمئة واثنتين وتسعين ترجمة، وذكر صاحب "معجم المطبوعات العربية والمعربة" أنه يضم خمسمئة واثنتين وسبعين ترجمة. ادوارد كرنيليوس فانديك: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية، تصحيح: السّيد محمّد علي البيلاوي، مطبعة الهلال، مصر، 1313هـ/1896م، (102)؛ سركيس، يوسف بن إليان، معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس – مصر، 1346هـ/1928م، (1547/2).

(3) ابن شاكر، فوات الوفيات، مصدر سابق، (13/1-14).

(4) صلاح الدِّين الصّفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التُّراث – بيروت، 1420هـ/2000م، (27/1-28).

(5) الشّكعه، مناهج التّأليف عند العلماء العرب، مرجع سابق، (481).

1- كثرة تراجمه التي بلغت ثلاثة آلاف وتسعمئة وإحدى عشرة (3911) ترجمة، ابتدأها بذكر اسم محمّد - صلّى الله عليه وسلّم-؛ تبرُّكاً باسمه الشّريف، إذ هو الذي أتى بهذا الدِّين القيِّم.

2- عقد الصّفدي مقدّمة تضمُّ أحد عشر فصلًا في الثّقافة التّاريخيّة والتّأليف التّاريخي، وهي تمثِّلُ دراسة منهجيّة تتعلّق بالمنهج والوسيلة اللّذين ينبغي للكاتب المؤلِّف أن يكون ملمًّا بهما منفِّذًا لهما، يستوي في ذلك كاتب التّاريخ العام، أو كاتب تاريخ الأدب، أو تاريخ الحديث.

3- أنّه يذكر شهرة أو نسبة أو كنية المترجَم له، ثمّ يردف ذلك باسمه الحقيقي، ويحيل القارئ على مكانه حسب التّرتيب الهجائي للاسم، فمثلًا الأرجاني الشّاعر غير معروف باسمه لدى كثير من المتأدِّبين فيأتي به المؤلِّف في مكانه من حرف الهمزة، ثمّ يقول اسمه الحقيقيّ أحمد بن محمّد بن الحسين فيذهب القارئ باحثًا عنه في مكانه بين الأحمدين.

وقد أثنى مصطفى الشّكعه (ت: 2011م) على الكتاب ومؤلِّفه بقوله: ((إنّ الوافي بالوفيات عمل جليل من أعمال العلماء الأعلام في ميدان التّراجم للأعيان، نحسُّ فيه دقّة الباحث، ووقار العالم، وذوق الأديب، وفيض المؤرِّخ))[1].

وهذا نموذج من وفياته مِن باب مَن اسمه محمّد: ((أبو الحسن النّفاح، محدّث، محمّد بن مُحَمَّد بن عبد الله: النّفاح بالحاء المهملة، هو أبو الحسن الباهليّ البغداديّ نزيل مصر، قال ابن يونس: كان ثبتاً ثقةً صاحبَ حديث متقلِّلًا من الدّنيا، توفِّي سنة أربع عشرة وثلاثمئة))[2].

الكتاب الرّابع: "الوفيات" للقاسم بن محمّد البِرْزالي (ت: 739هـ)، تقع وفياته في القرن الثّامن، ما بين سنة مولده 665هـ إلى سنة 738هـ[3]، مرتّب حسب الشّهور والأعوام.

قال عنه محقّقه: ((يعتبر الكتاب قطعة فريدة تضاف للتّاريخ الإسلاميّ عامّة، ولتاريخ بلاد الشّام ومصر خاصّة في القرن الثّامن الهجريّ))[4].

ومن أهمّ مزايا الكتاب[5]:

1- الدقّة في ذكر التّراجم، حيث حوت السّنوات العشر من الكتاب على ثلاث وخمسين وسبعمئة (753) ترجمة، تابع فيها من عاصرهم من محدّثين، ورواة، ومصنّفين، وقضاة، وأمراء، وقادة، وسواهم من أهل العصر من المشاهير والمغمورين.

2- تميّز بذكر طبقة واسعة من الشّباب ممّن لم يبلغوا الأربعين والثّلاثين وحتّى العشرين أو دونها، وهذا ممّا لا يذكره أهل التّراجم عادة.

---

(1) المرجع نفسه، (490).

(2) الصّفدي، الوافي بالوفيات، مصدر سابق، (97/1).

(3) الجزء المحقّقُ من الكتاب هو ما بين 709 و718هـ.

(4) القاسم بن محمّد البِرْزالي، وفيات البِرْزالي، تحقيق: عبد الله الكندري، غراس للنّشر والتّوزيع- الكويت، ط1، 1426هـ/2005م، (9).

(5) المصدر نفسه، (7-8).

3- اهتمامه الواضح بتراجم النّساء، فقد ذكر لهنّ أكثر من ستّين (60) ترجمة، ما بين محدّثة وراوية متّصلة بأهل الخير والعلم، أو الإمارة والسّلطان، مبيّناً بذلك دور المرأة وأثرها في جميع نواحي الحياة في تلك الفترة.

4- ضمّ كثيراً من معالم الحياة العامّة والعلميّة، ومن ذلك ذكره لأكثر من ستّين (60) مدرسة لشتّى المذاهب، وما كان يدرّس فيها من فنون العلوم الإسلاميّة، كما ذكر أكثر من خمسين (50) مسجداً وجامعاً، زيادة على عشرين (20) سوقاً في شتى أنواع السّلع والمنتوجات، بالإضافة إلى ذكر مرافق الحياة العامّة من حمّامات، وخانات، ومقابر، وزوايا، وأربطة، وقصور، وقلاع.

وهذا نموذج من وفياته من سنة تسع وسبعمئة للهجرة: ((في ليلة الجمعة الثّالث محرّم توفِّي الشّيخ الصّالح أبو الحسن علي بن جعفر بن علي بن إسماعيل المؤذّن الحلَبي ثمّ الدّمشقيّ، المؤذّن بمسجد الدّركاه بالقلعة المحروسة، وصلّى عليه عقيب الجمعة بجامع دمشق، ودفن بسفح قاسيون... كان رجلًا جيّداً قليل الرّواية محبّاً لأهل الخير، ومولده سنة إحدى وثلاثين وستمئة بدمشق))[1].

الكتاب الخامس: "الوفيات"، لابن رافع السّلامي (ت: 774هـ)، تقع وفياته في القرن الثّامن، ما بين 737هـ و774هـ، أي إلى سنة وفاته، وهو مرتّب حسب الشّهور والأعوام.

صدّر ابن رافع كتابه بمقدّمة مقتضبة قال فيها: ((فإنِّي لمّا رأيت تاريخ الحافظ أبي محمّد القاسم بن محمّد البِرْزالي انتهى فيه إلى آخر سنة سِتّ وثلاثينَ وسبع مئة مبيّضاً أردْت أن أُذيّل عَلَيْهِ، ثمَّ رأيت في المسوّدات سنتَيْن فكتبت منهما ما تيَسّر مع الذي جمعته وعلى الله التّكلان وهو المستعان))[2].

يقوم منهج الكتاب على الأمور الآتية[3]:

1- تاريخ وفاة صاحب التّرجمة، ولقبه، وكنيته، واسمه، ونسبه، ومكان وفاته، والصّلاة عليه، ومكان دفنه.

2- دراستُه، وأخذه عن المشايخ، وذكر مسموعاته من الكتب، والأجزاء.

3- تحديثُه، وتدريسه، وتآليفه.

4- مكانته، ومناصبه الإداريّة والقضائيّة، وما يتعلّق بذلك.

5- تاريخ ولادته.

وهذا المنهج هو الغالب على وفياته، فأحياناً يقتصر على ما دون ذلك.

ومن مزايا الكتاب[4]:

---

[1] المصدر نفسه، (27).

[2] القسم الدراسي لوفيات ابن رافع السّلامي، تحقيق: صالح مهدي عباس وبشّار عوّاد معروف، مؤسّسة الرّسالة – بيروت، ط1، 1402هـ، (125/1).

[3] المصدر نفسه، القسم الدّراسي، (69/1).

[4] القسم الدراسي لوفيات ابن رافع، مصدر سابق، (68/1).

1- أنّه حوى مجموعة كبيرة من التّراجم، فيهم: المحدِّثون، والفقهاء، والقضاة، والمؤرِّخون، والأدباء، والشّعراء، والزهّاد، والصّوفيّة، والخلفاء، والسّلاطين، والأمراء، والقرّاء، والمفسِّرون، والعدول، والمؤذِّنون، والخطباء، والتّجار، وأصحاب الحرف، وكلّ من كانت له عناية بالعلم، إلّا أنّ النّصيب الأوفر من تراجم الكتاب كان للمحدِّثين؛ لكون المؤلِّف من كبار المحدِّثين، فطبيعيّ أن يعتني بأهل فنِّه.

2- أنّه تناول تراجم رجالٍ من مختلف البلدان الإسلاميّة، إلّا أنّ النّصيب البلاد الشّاميّة كان أوفر؛ لصلة المؤلِّف بهذه البلاد، ولكونها من أعظم مراكز الحركة الفكرية في عصره.

وهذا نموذج من وفياته من سنة سبع وثلاثين وسبعمئة للهجرة: ((في رابع المحرّم منها توفِّي ضياء الدّين محمّد بن عبد الرّحمن ابن محمّد ابن محمّد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النّصيبي الحلَبِي بمدينة البيرة على شاطئ الفرات، سقط عليه هدم فعاشَ ساعة ومات، فحمل إلى حلب ودفن عند والِده، سمع من سنقر القضائي الزّيني، وحدّث، ومولده في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وستّ مئة بحلب، ولي الحِسْبَة بعد وَالِده بحلب وَولي قضاء البيرة))[1].

الفرع الثّاني: الجهود المغربيّة في تأليف وفيات الأعلام

الكتاب الأوّل: "الوفيات"، لابن قنفذ القسنطينيّ (ت: 810هـ)[2]، وتقع وفياته بين القرن الأوّل وبداية القرن التّاسع للهجرة، والكتاب مرتّب على المئين من السِّنين بحسب العشرات.

يقول ابن قنفذ عن عمله على الكتاب: ((ولنذكر في هذا الكتاب ما حضرني من وفيات الصّحابة، والعلماء، والمحدِّثين، والمؤلِّفين، ورتّبتُه على المئين من السِّنين بوجه لم أُسبق إليه، وبالله التّوفيق، وبه أستعين فهو الموفِّق المعين))[3].

وجاءت تراجم الكتاب قصيرة جدّاً، ومع ذلك فقد أفاد منها كثير من كتّاب التّراجم والسِّير، كأحمد بابا التّنبكتي (ت: 963هـ) في "نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج"، وابن مريم التِّلمسانيّ (ت بعد: 1014هـ) في "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"، ومحمّد الحفناوي (ت: 1361هـ) في "تعريف الخلف برجال السّلف"، وخير الدِّين الزّركلي (ت: 1396هـ) في "الأعلام"[4].

يقول المؤرِّخ أبو القاسم سعد الله (ت: 1435هـ): ((ويجد الباحث كثيراً من الأخبار في هذا الكتاب عن أسرة ابن القنفذ وعن حياة المؤلِّف نفسه الذي يظهر عليه الاعتزاز ببلاده وبرجالها، فكثيراً ما يذكر عبارة "بلادنا" أو "بلدنا" في الحديث عن عالم

---

(1) المصدر نفسه، (127/1).

(2) كتاب الوفيات جعله ابن قنفذ ذيلاً لكتابه "شرف الطّالب في أسنى المطالب"، وهو شرحٌ للقصيدة الغزّليّة في ألقاب الحديث، لأبي العبّاس أحمد بن فرح الإشبيلي (ت: 699هـ)، يقول أبو القاسم سعد الله: ((ولما كان أهل الحديث قد حافظوا كثيراً على وفيات الصّحابة والمحدِّثين فإن ابن قنفذ رأى أن يذكر في كتابه ما حضره من ذلك، ويضيف إليه وفيات العلماء والمحدِّثين والمؤلِّفين)). أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1998م، (66/1). وكتاب الوفيات حقّقه عادل نويهض، وصدر عن دار الآفاق الجديدة ببيروت، الطّبعة الرّابعة، عام: 1403هـ/1983م.

(3) ابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط4، 1403هـ/1983م، (21).

(4) ابن قنفذ، الوفيات، مصدر سابق، (18).

أو مسجد أو نحو ذلك. ويعتبر "الوفيات" على غرابته، واختصاره، من الكتب المفيدة التي يعود إليها الباحثون عن أخبار رجال بجاية، وقسنطينة، وتلمسان، وكذلك أخبار علماء المغرب، والأندلس، وتونس وغيرهم))[1].

وهذا نموذج من وفياته من المئة الأولى: ((100هـ، 622 - 719م وقعت وفاة سيّد الأولين والآخرين رسول ربِّ العالمين سيّدنا محمّد – صلّى الله عليه وسلّم– في ضحى يوم الاثنين الثّامن من شهر ربيع الأوّل، وقيل الثّاني عشر منه سنة إحدى عشرة من الهجرة المباركة. وعمره – صلّى الله عليه وسلّم– ثلاث وستّون سنة. وتوفيّت فاطمة –رضي الله عنها– ابنته – عليها، وعليه أفضل الصّلاة وأزكى السّلام– بعده بستّة أشهر، وقيل بثمانية))[2].

الكتاب الثّاني: "إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثّالث عشر والرّابع"، لعبد السّلام بن عبد القادر ابن سودة (ت: 1400هـ)[3]، وتقع وفياته بين القرن الثّالث عشر ونهاية القرن الرّابع عشر، والكتاب مرتّب على السّنين.

أبان ابن سودة في مقدّمته عن أصل الكتاب ومنهجه فيه بقوله: ((ولَمّا جمعته وخرّجته من مسوّدته[4] ظهر لي أن اختصره في هذا العجالة، وأجعله ذيلا لكتاب "التقاط الدُّرر"[5] المذكور على منواله وأسلوبه، ورتّبته على السّنين كأصله... ذاكراً فيه وفاة الشّخص في عامه الذي توفِّي فيه، وبعض التّحليات التي رأيته موصوفاً بها على وجه الاختصار والاقتصار، ذاكراً تحلية من عاصرتهم واتّصلت بهم، أو الذين رأيت من عاصرهم واتّصل بهم، أو ما اتّفق عليه في تحليتهم، سواء كان المذكور من العلماء، أو من رجال الصّلاح والدِّين، أو من الوزراء القوّاد والباشوات الذي هم رجال السِّياسة، لأنّهم يذكرون في الحوادث السِّياسيّة كثيراً. وأشير إلى بعض الحوادث إن كانت مهمّة في وقتها، وإن أردت بسط ذلك والاطلاع عليها على وجه التّفصيل فعليك بمراجعة الأصل كتاب "زبدة الأثر"))[6].

ومن محاسن الكتاب ما يأتي[7]:

1- تثبت المؤلِّف في تحلية المترجمين، وتحرّيه غالباً فيما يستحقُّون من ألقاب علميّة أو دنيويّة، بحيث يعرفُ القارئ دون عناء هويّة المترجَم، ويدرك ما إذا كان فقيهاً، أو أديباً، أو مشاركاً، أو شيخاً متصوِّفاً، أو حاكماً صالحاً أو فاسداً، أو قائداً حربياً. ويحيل مَن يريد مزيداً من التّوسُّع في بعض التّراجم على الأصل: "زبدة الأثر".

---

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مصدر سابق، (66/1).

(2) ابن قنفذ، الوفيات، مصدر سابق، (23-24-25).

(3) حقّق الكتاب محمّد حجي، وصدر عن دار الغرب الإسلامي ببيروت، الطبعة الأولى، عام: 1417هـ/1997م.

(4) يقصد كتابه المطوّل "زبدة الأثر مما مضى من العبر في القرن الثّالث والرّابع عشر". ينظر مقدّمة إتحاف المطالع لابن سودة، (8/1).

(5) من تأليف المؤرِّخ محمّد بن الطيب بن عبد السّلام القادري الحسني (ت: 1187هـ) جعله ذيلا على كتاب: "لُقَطُ الفرائد من لَفاظَة حُقَقِ الفوائد" للمؤرخ أحمد بن محمّد ابن القاضي (ت: 1025هـ).

(6) عبد السّلام بن سودة، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثّالث عشر والرّابع، تحقيق: محمّد حجّي، دار الغرب الإسلاميّ- بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، (9/1).

(7) ينظر مقدّمة محقّق إتحاف المطالع لابن سودة، (6/1).

2- حرصه على ذِكر تآليف المترجم، ووصف ما وقف عليه منها، والتّنبيه على ما عرف من عناوينها ومحتواها أثناء مطالعاته وقراءاته في الكتب المخطوطة بصفة خاصّة.

3- أمانته في النّقل، إذ يعزو كلّ شيء اقتبسه إلى صاحبه، ويتوقّف عند ما لا يقف على تاريخ وفاة، أو تحديد مكان، أو تعليل حادثة.

وهذا نموذج من وفياته من عام أربعة وسبعين ومئة وألف للهجرة: ((علي ابن عبود المكناسيّ: في يوم الثّلاثاء ثاني ربيع الثّاني توفِّي علي بن عبد الرّحمن ابن عبّود المكناسيّ من أولاد ابن عبود المعروفين بمكناس. كان علّامة، مشاركاً، مدرساً، توفِّي ببلده))[1].

المبحث الثّاني: الونشريسيّ والمعلومات التّاريخيّة والفوائد العلميّة لوفياته

المطلب الأوّل: التّعريف بالونشريسيّ وكتابه الوفيات

الفرع الأوّل: التّعريف بالونشريسيّ

هو أحمد بن يحيى بن محمّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، التِّلمسانيُّ الأصل والمنشأ، الفاسيُّ الدّار والوفاة والمدفن، يُكنّى بأبي العبّاس، وُلِد سنة أربع وثلاثين وثمانمئة للهجرة (834هـ) بجبال ونشريس[2]، وتوفِّي -رحمه الله- يوم الثّلاثاء العشرين من شهر صفر من عام أربعة عشر وتسعمئة للهجرة (914هـ)[3].

أخذ -رحمه الله- عن شيوخ بلده بتلمسان أمثال أبي الفضل قاسم العُقباني (ت: 854هـ)، وولده القاضي أبي سالم إبراهيم بن قاسم العُقباني (ت: 880هـ)، وحفيد الإمام محمّد بن أحمد بن قاسم العُقباني (ت: 871هـ)، والإمام محمّد بن العبّاس (ت: 871هـ)، وأبي عبد الله الجلّاب (ت: 875هـ).

وتخرّج به جماعة من الفقهاء منهم: أبو عبد الله محمّد بن الغرديسي التّغلبي (ت: 897هـ)، وأبو زكريا يحيى بن مخلوف السّوسي (ت: 927هـ)، وأبو عباد بن مليح اللّمطي (ت: 930هـ)، وأبو محمّد عبد السّميع المصمودي (ت بعد: 940هـ)[4].

وترك -رحمه الله- جملة من المؤلّفات القيِّمة، منها: "المعيار المعرِب والجامع المغرب عن فتاوى علماءِ إفريقيّة والأندلس والمغرب"[5]، و"إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك"[1]، و"أسنى المتاجر وبيان أحكام من غلب على وطنه

---

(1) ابن سودة، إتحاف المطالع، مصدر سابق، (14/1).

(2) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، إشراف: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدّعوة الإسلاميّة - طرابلس، ط1، 1989م، (135)؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسّسة نويهض الثّقافية للتّأليف والتّرجمة والنّشر- بيروت، لبنان، ط2، 1400هـ/1980م، (343).

(3) التُّنبكتي، نيل الابتهاج، مرجع سابق، (136)؛ محمّد مخلوف، شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة، المطبعة السّلفية ومكتبتها - القاهرة، 1349هـ، (397/1).

(4) التُّنبكتي: نيل الابتهاج، مرجع سابق، (135).

(5) حقّق الكتاب محمّد حجي وآخرون، ونشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، سنة: 1401هـ/1981م.

النّصارى ولم يهاجر، وما يترتّب عليه من العقوبات والزّواجر"[2]، و"عدّة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق"[3]، و"درر القلائد وغرر الطُّرر والفوائد"، وهو حاشية على مختصر ابن الحاجب الفرعيّ[4]، و"المنهج الفائق والمَنْهل الرّائق والمعنى اللّائق بآداب الموثّق وأحكام الوثائق"[5]، و"غنية المعاصر والتّالي في شرح فقه وثائق القاضي أبي عبد الله الفشتالي"[6]، و"كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلاميّة والخطط الشّرعيّة"[7].

وأثنى عليه من ترجم له، فقال عنه التّنبكتي (ت: 963هـ): ((العالم العلّامة، حامل لواء المذهب على رأس المئة التّاسعة))[8]، ووصفه أحمد المنجور (ت: 995هـ) بأنّه: ((كان فصيحَ اللِّسان والقلم، حتّى كان مَن يحضُرُه يقول: لو حضره سيبوَيْهِ لأخَذ النّحو مِن فِيه))[9].

الفرع الثّاني: التّعريف بكتاب الوفيات

صدر الكتاب عن دار الغرب الإسلاميّ ببيروت، بتحقيق محمّد حجّي (ت: 2003م) ضمن موسوعة أعلام المغرب، المجلد الثّاني، كما صدر في كتاب مستقل عن شركة نوابغ الفكر للنّشر والتّوزيع والتّصدير، بتحقيق محمّد بن يوسف القاضي، الطّبعة الأولى، 2009م.

بلغت عدد صفحاته في طبعته المستقلّة مئة وسبعون صفحة، بينما بلغت صفحات النّصُّ المحقّق دون مقدّمة المحقّق والكشّاف العام مئة وعشر صفحات.

يتناول الكتاب وفيات رجال الفقه، والقضاء، والحديث، والتّصوُّف، والسِّياسة في بلاد المغرب والأندلس عبر قرنين من الزّمان، من عام 701هـ إلى عام 912هـ، أي قبل وفاة الونشريسي بعامين.

بلغ مجموع وفيات الكتاب ما يقارب ثلاثمئة وفاة.

لم يعتمد -رحمه الله- منهجاً واحداً في ذكر الوفيات، فهو يعتني بذكر سنة الوفاة، وأحياناً يضيف لها مكان أو سبب الوفاة.

ويذكر في العام الواحد بين وفاة إلى سبع وفيات، ففي سنة أحد وسبعمئة اكتفى بذكر وفاة أبي زكرياء يحي اليفرنيّ[1]، بينما بينما قيّد في سنة عشر وتسعمئة سبع وفيات[2].

---

(1) حقّق الكتاب الصّادق بن عبد الرحمن الغرياني، وطبعته دار ابن حزم ببيروت.

(2) حقّق الكتاب حسين مؤنس، ونشرته مكتبة الثقافة الدينية بمصر، سنة: 1406هـ/1986م.

(3) حقّق الكتاب حمزة أبو فارس، ونشرته دار الغرب الإسلامي بيروت، سنة: 1990م.

(4) حقّق الكتاب أبو الفضل بدر العمراني الطنجي، وطبعته دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى: 1425هـ/2004م.

(5) حقّق الكتاب عبد الرّحمن الأطرم، وطبعته دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بالإمارات العربية المتحدة.

(6) توجد له نسخة بالمكتبة العامة بالرباط، المغرب، تحت رقم: 1507.

(7) نشره وعلّق عليه محمّد الأمين بلغيث، ونشرته لافوميك، الجزائر، 1985م.

(8) التُّنبكتي، نيل الابتهاج، مرجع سابق، (135).

(9) أحمد المنجور، فهرس أحمد المنجور، تحقيق: محمّد حجي، مطبوعات دار المغرب للتّأليف والتّرجمة والنّشر- الرباط، 1396هـ/1976م، (50).

قيّد في مواضع قليلة من الكتاب وفيات علماء من خارج المذهب المالكي، كابن حجر العسقلاني، وزين الدِّين عبد الرّحيم العراقي، وعبد العزيز بن جماعة الكناني[3]، والثّلاثة شافعيّة المذهب.

من مميّزات الكتاب الاختصار والإيجاز، فغالباً ما تكون وفاة العَلَمَ في حدود السّطر والسّطرين، ونادراً ما تتجاوز ذلك، فنجده في مواضع قليلة يتوسّع في ذكر العَلَمَ، فيذكر إلى جانب سنة وفاته نبذاً عن حياته العلميّة: كتآليفه، ودروسه، ومحفوظاته، وقد يتوسّع أكثر فيذكر هيئته ولباسه، كما وقع في ذكره للشّيخ أبي الحسن على بن عبد الحقّ الزّرويلي الشّهير بالصُّغَيّر[4].

ومن الأعلام الذين توسّع في ترجمتهم مقارنة مع غيرهم: أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرفيع التّونسيّ (ت: 732هـ)[5]، والقاضي محمّد بن يحيى ابن محمّد بن بكر (ت: 741هـ)[6]، والفقيه أبو محمّد عبد المؤمن بن محمّد بن موسى الجاناتي (ت: 746)[7]، وأبو العبّاس أحمد بن عمر بن على بن هلال (ت: 795هـ)[8].

ومن مآخذ الكتاب أنّه أسقط أعواماً لم يُسجّل فيها الونشريسيّ أيّ وفاة أو حدث، كأعوام: 703هـ، 717هـ، 722هـ، أحيانا يسقط سنتين متتاليتين، كأعوام: 706 و707هـ، 713 و714هـ، 722 و723هـ، وقد يصل الأمر إلى أكثر من ثلاثة أعوام متتالية، إذ نجده مثلًا بين عام 900هـ وعام 904هـ وبين عام 906هـ وعام 909هـ لا يسجّل أيّ حدث أو وفاة.

المطلب الثّاني: المعلومات التّاريخيّة والفوائد العلميّة لوفيات الونشريسيّ

كتاب وفيات الونشريسيّ على صغر حجمه، واختصار عبارته، زاخر بالمعلومات التّاريخيّة والفوائد العلميّة، يقول المؤرِّخ المهدي البوعبدلي (ت: 1412هـ) عن مصنّفات الونشريسيّ: ((وأمّا تآليفه فكُلُّها دُرر وغرر، خصوصاً كتابه "الوفيات"))[9]. وقال أيضاً: ((أمّا كتاب "الوفيات" فإنَّه خصَّصه مؤلِّفه لمن عاشوا في البلاد أو ماتوا بها، فمن هذه النّاحية كان لهذا التّأليف وزنه وقيمته))[10].

وفيما يأتي إطلالة على أهمِّ المعلومات التّاريخيّة والفوائد العلميّة التي احتواها الكتاب:

الفرع الأوّل: الأسماء والكُنى والآباء والأجداد

---

(1) أحمد الونشريسي، وفيات الونشريسي، تحقيق: محمّد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر للنّشر والتّوزيع والتّصدير، ط1، 2009م، (5).

(2) المصدر نفسه، (5).

(3) المصدر نفسه، (53- 54 و77).

(4) المصدر نفسه، (17- 18- 19- 20).

(5) وفيات الونشريسي، مصدر سابق، (26-27).

(6) المصدر نفسه، (34).

(7) المصدر نفسه، (41-42).

(8) المصدر نفسه، (71-72).

(9) المهدي البوعبدلي، الأعمال الكاملة للشّيخ المهدي البوعبدلي، جمع وإعداد: عبد الرّحمن دويب، عالم المعرفة للنّشر والتّوزيع- الجزائر، ط1، 2013م، (354/1).

(10) المرجع نفسه، (355/1).

أوّلًا– الأسماء والكُنى:

الأسماء والكُنى فنٌّ مهمٌّ مطلوب، للتّعرُّف على الرِّجال[1]، والتّفريق بين الأعلام الذين يحملون أسماء وكنى متشابهة، يقول الصّفدي (ت: 764هـ) في أحد تنبيهاته: ((كلّما رفعتَ في أسماء الآباء والنّسب وزدتَ انتفعتَ بذلك، وحصل لك الفرق)) ثمّ أورد لنا قصّة طريفة قال فيها: ((فقد حكى أبو الفرج المعافَ بن زكريّا النّهروانيّ قال: حججْت في سنة وكنتُ بمنى أيّام التّشريق فَسمِعتُ منادياً يُنَادي يا أبا الفرج، فقلت: لعلّه يُرِيدني، ثمّ قلتُ: في النّاس كثيرٌ مِمّن يُكنّى أبا الفرج فلم أجبه، ثمّ نادى: يا أبا الفرج المعافَ، فهممتُ بإجابته، ثمّ قلت: قد يكون اسمه المعافَ وكنيته أبا الفرج فلم أجبه، فنادى: يا أبا الفرج المعافَ بن زكريّا، فلم أجبه، فنادى: يا أبا الفرج المعافَ بن زكريّا النّهروانيّ، فقلت: لم يبْق شكّ في مناداته إيّايَ، إذْ ذكر كنيتي واسمي واسم أبي وبلدي، فقلت: هاأنذا فما تُرِيدُ؟ فقال: لعلّك من نهروان الشّرق، فقلت: نعم، فقال: نحن نُرِيد نهروان الغرب، فعجبتُ من اتّفاق ذلك))[2].

وقد التزم الونشريسيّ – رحمه الله– في أغلب الكتاب بذكر الأسماء والكُنى لمن نقل وفاتهم، فغالباً ما يُصدِّر الوفاة بذكر الكنية ثمّ الاسم، وأحياناً يذكر اللّقب، أو اسم الشُّهرة.

ثانياً– الآباء والأجداد:

في أثناء ذكر الونشريسيّ لآباء الأعلام كان ينوه ببعضهم من خلال وسمهم بالعلم أو الفقه، فيقول عن وفاة أبي زيد عبد الرّحمن: ((وفي سنة ثلاث وسبعين وسبعمئة: توفِّي الفقيه المتفنِّن الصّالح المفيد أبو زيد عبد الرّحمن ابن الفقيه أبي الرّبيع سليمان اللّجائي من مدينة فاس))[3].

وقال عن الفقيه أبي الحسن محمّد: ((وفي سنة ثلاث وتسعين: توفِّي بتونس الشّيخ الفقيه الإمام أبو الحسن محمّد ابن الشّيخ الفقيه الشّهير أبي العبّاس البطرني))[4].

وقال عن أبي سالم إبراهيم التِّلمسانيّ: ((وفي سنة سبعٍ وتسعين وسبعمئة: توفِّي أبو سالم إبراهيم ابن الإمام العالم العامل أبي زيد ابن الإمام التّلمسانيّ بمدينة فاس، ودفن بباب الجزيّين))[5].

وفي حديثه عن سنة وفاة الشّيخ أبي موسى ذكر لنا والده وصلته بالشّيخ أبي زيد، فقال: ((وفي سنة خمسين وسبعمئة: توفِّي الشّيخ أبو موسى عيسى، ابن محمّد بن عبد اللّه بن الإمام التّلمساني، شقيق الشّيخ أبي زيد المتقدِّم ذكره[6]))[1].

---

(1) يقول أبو إسحاق الأبناسي (ت: 802هـ): ((وهذا فن مطلوب لم يزل أهل العلم بالحديث يعنون به، ويتحفظونه، ويتطارحونه فيما بينهم، ويتنقصون من جهله)). الأبناسي، أبو إسحاق برهان الدِّين: الشّذا الفيّاح من علوم ابن الصّلاح، تحقيق: صلاح فتحي هلل، مكتبة الرشد، ط1، 1418هـ/1998م، (596/2).

(2) الصّفدي، الوافي بالوفيات، مصدر سابق، (48/1).

(3) وفيات الونشريسي، مصدر سابق، (57).

(4) المصدر نفسه، (70).

(5) المصدر نفسه، (72).

(6) المصدر نفسه، (36-37).

الفرع الثّاني: المواليد والوفيات

أوّلًا– المواليد:

معرفة مواليد الأعلام لها فوائد كثيرة، فهي تساعد على التّمييز بين الأسماء والكنى المتشابهة، وتدل الأقران، وتحدِّد المراحل الزّمنية التي عاشوا فيها.

ومن أكبر الفوائد قطع الطّريق على الكذّابين، حيث نجد ابن عساكر في كتابه "تاريخ دمشق" يعقد بابا سمّاه: "باب ذكر السّبب الذي حمل الأئمة والشُّيوخ على أن قيّدوا المواليد وأرّخوا التّواريخ"، ونقل بسنده قول سفيان الثّوري: ((لَمّا استعمل الرُّواة الكذب استعملنا لهم التّاريخ))[2].

وقد أمدّنا الونشريسيّ في وفياته بسنة ميلاد عدد من الأعلام، من ذلك قوله في سنة اثنتين وسبعمئة: ((توفِّي الفقيه أبو محمّد عبد اللّه ابن محمّد بن هارون الطائي القرطبيّ، ومولده سنة ثلاث وستمئة))[3].

وكقوله في سنة خمس وأربعين وسبعمئة: ((توفِّي الفقيه الإمام المحصّل الأصولي: أبو موسى عمران ابن موسى المشدالي، البجائيّ الأصل، التّلمسانيّ الدّار، توفِّي يوم الثلاثاء، مولده سنة سبعين وستمئة))[4].

وأحياناً يردف إلى جانب سنة الميلاد مكان المولد، كقوله في سنة اثنتين وسبعمئة: ((وفي هذه السّنة: توفِّي الإمام تقي الدين بن دقيق العيد ودفن بالقرافة، ومولده بساحل مدينة الينبع من أرض الحجاز))[5].

وكقوله في سنة تسع وسبعمئة: ((وفيها: توفِّي الشّيخ أبو القاسم محمّد بن إبراهيم بن محمّد ابن إبراهيم السّلمي... ولد بسبتة وبها نشأ وقرأ، وتوفِّي بها أوائل ربيع الأوّل، وكان مولده بها قبل الخمسين))[6].

ثانياً– الوفيات:

اعتنى الونشريسيّ بذكر سنة وفاة الأعلام، وهو الهدف الذي من أجله وضع الكتاب، ولكنّه في مواضع كثيرة يزيدنا فائدة بذكر موطن الوفاة كتلمسان، وتونس، وغرناطة، وفاس، والقاهرة.

ويشير أحياناً إلى مكان المدفن كما في قوله: ((وفي سنة ثلاث وثمانمئة:... توفِّي الشيخ الصّالح العالم أبو إسحاق سيّدي إبراهيم بن محمّد المصمودي، ودفن بروضة ملوك آل زيان من المدرسة اليعقوبيّة من تلمسان))[7].

وكقوله في مدفن أبي العبّاس أحمد ابن الحسن الغماري: ((وفي سنة أربع وسبعين وثمانمئة: توفِّي الشّيخ الصّالح ذو الكرامات الظّاهرة والآيات الباهرة، سيدي أبو العبّاس أحمد ابن الحسن الغماري، ودفن بخلوته من شرقي الجامع الأعظم من تلمسان))[1].

---

(1) المصدر نفسه، (44).

(2) أبو القاسم بن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1415هـ/1995م، (54/1).

(3) وفيات الونشريسي، مصدر سابق، (5).

(4) المصدر نفسه، (38-39).

(5) وفيات الونشريسي، مصدر سابق، (5-6-7).

(6) المصدر نفسه، (13-14).

(7) المصدر نفسه، (74).

وأحياناً يضيف سبب الوفاة، كوفاته مقتولا، أو ذبيحاً، أو مخنوقاً، كقوله: ((وفي سنة إحدى وثلاثين وثمانمئة:... توفِّي قتيلا مفتى فاس وخطيب جامعها الأعظم: أبو القاسم التّازغدري))[2].

وعن ابن الخطيب السّلماني قال: ((وفي سنة ستٍّ وسبعين وسبعمئة: ... توفِّي فاقعة دهره رئيس الكتّاب ذو الوزارتين: أبو عبد اللّه ابن الخطيب السّلماني، بسجن فاس مخنوقاً -رحمه اللّه-))[3].

الفرع الثّالث: أحوال الأعلام وشيوخهم

أوّلًا- أحوال الأعلام:

قيّد الونشريسيّ-رحمه الله- عدداً من وفيات الصُلحاء، منهم:

- الشّيخ أبو العباس ابن عاشر المتوفّى سنة أربع وستين وسبعمئة وصفه بـ ((الفقيه الصّالح الورع الزّاهد ذو الكرامات الباهرة))[4].

- والشّيخ أبو العبّاس أحمد ابن الحسن الغماري، المتوفّى سنة أربعٍ وسبعين وثمانمئة، حيث وسمه بـ ((الشيخ الصّالح، ذو الكرامات الظّاهرة، والآيات الباهرة))[5].

- والشّيخ أبو الحسن الوزروالي، المتوفّى سنة ثمانٍ وستين وثمانمئة بفاس، نعته بـ ((الشّيخ الصّالح المجاب الدّعوة))[6].

- والشّيخ أبو عبد اللّه محمّد بن يحيى بن سعيد البوفرجي، المتوفّى سنة خمسٍ وثمانين وثمانمئة، وصفه بـ ((الشّيخ الصّالح البركة، خاتمة صلحاء المغرب))[7].

تلك الأوصاف تلقي الضّوء على طبيعة الحياة الرُّوحيّة بالمغرب الإسلاميّ، وموقف العلماء من حركة التّصوُّف التي انتشرت في القرون المتأخرة.

ثانياً- شيوخ الأعلام:

من فوائد ذكر الشُّيوخ إبراز مكانة العَلَم العلميّة، وإبعاد الوهم والخطأ عن الأعلام المتشابهة أسماؤهم وكناهم، وقد نقل لنا الونشريسي -رحمه الله- شيوخ عدد ممّن ذَكر وفاتهم، فغالبا ما يكتفي بذكر شّيخ الواحد، كقوله: ((وفي سنة ثلاثٍ وسبعين وسبعمئة: توفِّي الفقيه المتفنِّن الصّالح المفيد: أبو زيد عبد الرّحمن ابن الفقيه أبي الرّبيع سليمان اللّجائي من مدينة فاس. ومن أشياخه أبو العبّاس بن البناء، وحاز علومه بتحقيق))[8].

---

(1) المصدر نفسه، (104-105).

(2) المصدر نفسه، (87).

(3) المصدر نفسه، (58).

(4) مصدر نفسه، (51).

(5) المصدر نفسه، (104).

(6) المصدر نفسه، (102).

(7) وفيات الونشريسي، مصدر سابق، (107).

(8) المصدر نفسه، (57).

وكقوله في سنة أربعٍ وستّين وسبعمئة: ((وفيها: توفّي الفقيه أبو عبد اللّه محمّد بن أحمد الزّهري تلميذ سيِّدي أحمد بن عاشر))[1].

وكقوله في سنة ستٍّ وستين وثمانمئة: ((وفيها: توفّي بوهران الفقيه الصّالح أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد اللنتي عرف بالتّازي، تلميذ سيدي محمّد بن عمر الهوّاري وخليفة طريقته))[2].

وأحياناً يزيد على ذلك، كقوله عن الإمام الرُّهوني: ((وفي سنة خمسٍ وسبعين وسبعمئة: توفّي الشّيخ الإمام الحافظ المتفنّن أبو زكريّا يحيى بن موسى الرّهوني، أخذ الفقه عن أبي العبّاس ابن إدريس البجائي، والأصول عن أبي عبد الله الآبلي))[3].

وكقوله: ((وفي سنة خمسٍ وتسعين وسبعمئة: توفّي شهاب الدّين أبو العبّاس أحمد بن عمر بن على بن هلال... تفقّه بقاضي القضاة مجد الدّين وسراج الدين عمر المراكشي وغيرهما، وأخذ الأصول عن الشّيخ شمس الدّين الأصبهاني، والعربية عن أثير الدين أبي حيان، ورحل إلى القاهرة وأخذ بها عن الشّيخ الصّالح أبي عبد اللّه محمّد المنوفي والإمام شرف الدّين أبي علي الزّواوي))[4].

الفرع الرّابع: المصنّفات والتّخصّصات

أوّلًا– المصنّفات:

من الأمور التي تساعد على التّمييز بين الأعلام المتشابهة أسماؤهم معرفة إنتاجهم العلمي، وقد ذكر الونشريسي– رحمه الله– آثار ومصنّفات عدد من الأعلام، فقدّم للباحثين خدمةً جليلةً بهذا الصّنيع.

ومن أمثلة ذلك قوله: ((وفيها– أي من سنة ثمانٍ وسبعمئة–: توفّي الفقيه أبو عمران موسى بن علي الزّناتي صاحب الحلل على الرّسالة، وشارح المدوّنة، ومقامات الحريري))[5].

وكقوله: ((وفي سنة تسع وسبعمئة: توفّي الشّيخ عثمان بن دعمون الغرناطيّ، ألّف برنامجاً على كتاب البيان والتّحصيل لابن رشد))[6].

وكقوله: ((وفي سنة اثنتين وثلاثين وسبعمئة: توفّي قاضي الجماعة بتونس أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرّفيع التُّونسيّ، علامة وقته ونادرة زمانه، ألّف كتاباً سمّاه "معين الحكام" قصد به لاختصار المتّيطيّة، واختصر مسائل المدوّنة لابن رشد، وردّ على ابن حزم في اعتراضه على مالك... وجرّد المسائل الأجنبيات الواقعة في غير تراجمها من المدوّنة))[7].

---

(1) المصدر نفسه، (58).

(2) المصدر نفسه، (99–100).

(3) المصدر نفسه، (58).

(4) المصدر نفسه، (71).

(5) وفيات الونشريسي، مصدر سابق، (11).

(6) المصدر نفسه، (12).

(7) المصدر نفسه، (26).

ومن خلال وفيات الونشريسيّ نقف على سيادة العلوم الشّرعيّة في حركة التّأليف، خاصّة في مجال الفقه على مذهب مالك، كالشُّروح والاختصارات والتّقييدات على المدوّنة، والشُّروح على رسالة ابن أبي زيد القيروانيّ، والشُّروح على مختصر ابن الحاجب الفرعيّ.

ثانياً– التّخصّصات:

من فوائد معرفة التّخصصات العلميّة منع من الخلط والوهم في ترجمة الأعلام، فوصفُ الشّيخ بالفقيه أو المحدِّث تهدي وترشد[1].

والونشريسي في وفياته يذكر – في الغالب– التّخصُّصات العلميّة للأعلام، كالفقه، والأصول، والأدب، والنّحو، والحديث، والتّفسير، فنعت على سبيل المثال محمّد بن أحمد بن داود ابن الكمّاد (ت: 712هـ) بشيخ المقرئين[2]، وأبا الحسن علي بن عبد الحقّ الزّرويلي (ت: 719هـ) بشيخ الحفّاظ[3]، وأبا يحيى ابن عاصم (ت: 813هـ) بالفقيه[4]، وأبا العبّاس أحمد بن عبد الرّحمن زاغو (ت: 845هـ) بالمفسِّر[5].

الفرع الخامس: الوظائف والأحداث السّياسيّة

أوّلًا– الوظائف:

ذكر الوظائف من فوائدها أنها تهدي الباحث للعَلَم الذي يريد أن يترجم له، فرُبّ علمَيْن يشتركان في الاسم والكنية ولكن أحدهما تولى القضاء والثّاني تولى الإفتاء دون القضاء، فبذكر الوظائف يحصل الفرق.

ومن جميل وفيات الونشريسي ذِكْرُه للوظائف والمناصب، كالخطباء، والقضاة، وقضاة الجماعة، والمفتين، والأطباء، فذكر على سبيل المثال أكثر من عشرة من قضاة الجماعة ببجاية، وتلمسان، وتونس، وفاس، ومراكش، والإسكندرية[6]، إضافة إلى قضاة المدن، كقاضي بجاية[7]، ومازونة، وتوات[8].

ثانياً– الأحداث السّياسيّة:

---

(1) هناك من يخلط في الترجمة بين ابن عات الوالد وابن عات الابن، والثابت أن الوالد كان فقيهاً، وهو صاحب الطُّرر المعروفة بطرر ابن عات في علم الوثائق، بينما ابن عات الابن من علماء الحديث.

(2) وفيات الونشريسي، مصدر سابق، (15).

(3) المصدر نفسه، (17).

(4) المصدر نفسه، (81).

(5) المصدر نفسه، (91).

(6) ينظر على سبيل المثال الصّفحات: (26 و44 و53 و80 و81 و89 و92 و105) من وفيات الونشريسي، مصدر سابق.

(7) المصدر نفسه، (8).

(8) المصدر نفسه، (106-107).

لا يخلو كتاب وفيات الونشريسيّ من إشارات إلى بعض الأحداث السّياسيّة التي وقعت في تلك الفترة، كقوله في سنة إحدى وثلاثين وثمانمئة: ((وفيها: دخل السُّلطان محمّد بن أبي تاشفين، الشّهير بابن الحمراء على عمِّه السُّلطان أبي محمّد عبد الواحد ابن السُّلطان أبي حمُّ وقتله داخل باب كشاطة من تلمسان))[1].

وكقوله في سنة سبع وستين وثمانمئة: ((وفيها: توفِّي في آخر ذي قعدة منها السُّلطان المخلوع المصروف إلى الأندلس أبو العبّاس أحمد بن أبي حمُّ بمنزله من باب الطبول من ظاهر تلمسان فجأة، وهو محاصر بها بعد رجوعه من الأندلس))[2].

كما تشير بعض وفياته إلى العلاقة المتأزِّمة بين السّلطان والعالم والتي غالباً ما تنتهي بتنكيل الأخير وموته، فينقل لنا الونشريسي مصير أبي الفضل محمّد بن أبي عمرو التّميمي بقوله: ((وفيها – أي من سنة تسع وثمانين وسبعمئة- في الحادي والعشرين من شوال أصبح مقتولا الفقيه الكاتب الحاجب أبو الفضل محمّد بن أبي عمرو التّميمي بالسّياط بأمر السّلطان أحمد بن أبي سالم))[3].

كما حدّثنا عن نهاية الفقيه عبد اللّه بن أبي البركات الغماري بقوله: ((وفي سنة ثلاث وخمسين وثمانمئة: توفِّي مخنوقاً بمحل ثقافة بمسجد المشور الدّاخلي بأمر سلطانه المعتصم أبي العبّاس ابن أبي حمُّ صاحب أشغاله الحاجب الغربي: المكين الفقيه أبو محمّد عبد اللّه بن أبي البركات الغماري))[4].

وقال عن مقتل القاضي عبد الرّحيم اليزناسني: ((وفي سنة أربع وثلاثين وثمانمئة: توفِّي ذبيحاً بالدّار البيضاء القاضي أبو محمّد عبد الرّحيم ابن القاضي العالم أبي سالم اليزناسني، قتله الوزير بها، والوزير يومئذ صالح بن صالح اليابابي))[5].

وبعض الأحداث السِّياسيّة التي نقلها الونشريسي في وفياته تُشير من طرف خفيٍّ إلى موقفه السِّياسي من تلك الأحداث، كقوله: ((وفي سنة تسع وستِّين وثمانمئة: قامت عامّة فاس وخاصّتُها على سلطانها أبي محمّد عبد الحقِّ[6] ابن السُّلطان أبي سعيد سعيد

فخلعوه، وبايعوا مَزْوار[7] الشُّرفاء بها: محمّد بن علي بن عمران الجُوطي، وقتل عبد الحقِّ... والعاقبة للمتّقين))[8].

---

[1] المصدر نفسه، (87-88).

[2] المصدر نفسه، (101).

[3] المصدر نفسه، (67-68).

[4] المصدر نفسه، (94).

[5] المصدر نفسه، (88).

[6] هو عبد الحقِّ بن أبي سعيد عثمان من سلاطين الدولة المرينية، وبمقتله انقرضت دولة بني عبد الحق. الميلي، مبارك بن محمّد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب- الجزائر، 1406هـ/1986م، (420/2).

[7] الْمَزْوار: هو الحاجب عندهم، وهو المقدّم على الجنادرة العاملين في المحافظة على الأمن العام، وله أيضاً الاختصاص بالوقوف لدى باب السُّلطان وحمل النّاس على التزام مراتبهم. عبد الرّحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشّركة الجزائريّة ومنشورات دار مكتبة الحياة- الجزائر وبيروت، ط2، 1385هـ/1965م، (74/2).

[8] وفيات الونشريسي، مصدر سابق، (103).

وتعود أسباب مقتل السُّلطان عبد الحقّ إلى اختلال أحوال دولته، وتوليته رئاستها هارون اليهودي، الذي ساء أثره في المسلمين فثاروا به وبسلطانه، فقتلوهما[1].

وذكر الأحداث السِّياسيّة يُفيد الباحثين في رصد التّغيُّرات السِّياسيّة التي مرّ بها المجتمع الإسلامي، كما يلقي الضّوء حول علاقة العلماء بالحكّام والسّلاطين.

الخاتمة ونتائج البحث:

بعد هذه الإطلالة السّريعة أهم الفوائد العلميّة التي احتواها كتاب وفيات الونشريسيّ يُمكن رصد النّتائج الآتية:

أوّلا- تمثّلُ كتب الوفيات أهميّة مصدرية لكل باحث جاد؛ لما تكتنزه من معلومات وبيانات تاريخيّة تسهم في رسم الملامح الثّقافيّة والاجتماعيّة والسِّياسيّة لما كان عليه المجتمع الإسلاميّ.

ثانياً- يُشكِّلُ كتاب وفيات للونشريسيّ مصدراً مهمّاً ضمن كتب تراجم المالكيّة، حيث اعتمده المتأخّرون كالتُّنبكتي، والسّجلماسي، ونويهض وغيرهم.

ثالثاً- يكتسبُ كتاب الوفيات الونشريسيّ على اختصاره وصغر حجمه أهميّة كبرى إذ ضمّنه مؤلِّفه مادّة علميّة وتاريخيّة لمرحلة مهمّة من تاريخ المغرب الإسلاميّ عبر قرابة قرنين من الزّمن.

رابعاً- سار الونشريسيّ في وفياته على منهج من سبقه من المؤرّخين في تراجمهم، ممّا يدلُّ على اطّلاعه على مؤلّفاتهم، وكذا أصالة منهجه.

ويوصي البحث بضرورة العناية بتحقيق كتب التّراجم والوفيات لأعلام المغرب الإسلاميّ، لما لها من أهميّة كبرى في التّعرّف عليهم، ورصد جهودهم العلميّة والإصلاحيّة، وإماطة اللِّثام عن الجوانب المخفيّة من تاريخ الغرب الإسلاميّ.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الأبناسي، أبو إسحاق برهان الدِّين، **الشّذا الفيّاح من علوم ابن الصّلاح**، تحقيق: صلاح فتحي هلل، مكتبة الرّشد، ط1، 1418هـ/1998م.
2. أحمد المنجور، **فهرس أحمد المنجور**، تحقيق: محمّد حجي، مطبوعات دار المغرب للتّأليف والتّرجمة والنّشر- الرباط، 1396هـ/1976م.
3. إدوارد كرنيليوس فانديك، **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية**، تصحيح: السّيد محمّد علي البلاوي، مطبعة الهلال، مصر، 1313هـ/1896م.
4. البِرْزالي، القاسم بن محمّد، **وفيات البِرْزالي**، تحقيق: عبد الله الكندري، غراس للنّشر والتّوزيع- الكويت، ط1، 1426هـ/2005م.

[1] مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مصدر سابق، (420/2).

5. البوعبدلي، المهدي، **الأعمال الكاملة للشّيخ المهدي البوعبدلي**، جمع وإعداد: عبد الرّحمن دويب، عالم المعرفة للنّشر والتّوزيع- الجزائر، ط1، 2013م.
6. التُّنبكتي، أحمد بابا، **نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج**، إشراف: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدّعوة الإسلاميّة – طرابلس، ط1، 1989م.
7. الجديع، عبد الله بن يوسف، **تحرير علوم الحديث**، مؤسّسة الريّان للطّباعة والنّشر والتّوزيع- بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.
8. الجيلالي، عبد الرّحمن بن محمّد، **تاريخ الجزائر العام**، مكتبة الشّركة الجزائريّة ومنشورات دار مكتبة الحياة- الجزائر وبيروت، ط2، 1385هـ/1965م.
9. ابن خلّكان، أبو العبّاس شمس الدِّين أحمد، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، طُبع الجزء 4 عام 1971م، والجزء 5 عام 1994م، وبقيّة الأجزاء (1-2-3-6) عام: 1900م.
10. خليفة، حاجي، **سلم الوصول إلى طبقات الفحول**، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، 2010م.
11. الذّهبي، أبو عبد الله شمس الدِّين محمّد، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، ط1، 2003م.
12. ابن رافع السّلامي، **الوفيات**، تحقيق: صالح مهدي عباس وبشّار عوّاد معروف، مؤسّسة الرّسالة – بيروت، ط1، 1402هـ.
13. الزَّبيدي، مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحقّقين، دار الهداية.
14. الزّهراني، أبو ياسر محمّد آل مطر، **علم الرجال نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع**، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1417هـ/1996م.
15. السّخاوي، أبو الخير محمّد، **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي**، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السُّنة – مصر، ط1، 1424هـ/2003م.
16. سركيس، يوسف بن إليان، **معجم المطبوعات العربية والمعربة**: مطبعة سركيس - مصر، 1346هـ/1928م.
17. سعد الله، أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثّقافي**، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1998م.
18. ابن سودة، عبد السّلام بن عبد القادر، **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثّالث عشر والرّابع**، تحقيق: محمّد حجّي، دار الغرب الإسلاميّ- بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.
19. ابن شاكر، محمد بن أحمد الكتبي، **فوات الوفيات**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط1، الجزء1: 1973م، الجزء 2، 3، 4: 1974م.
20. الشّكعه، مصطفى، **مناهج التّأليف عند العلماء العرب**، دار العلم للملايين، ط15، 2004م.

21. الصّفدي، صلاح الدِّين خليل، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التُّراث – بيروت، 1420هـ/2000م.

22. طاش كبرى زاده، **مفتاح السّعادة ومصباح السِّيادة في موضوعات العلوم**، دار الكتب العلميّة- بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ/1985م.

23. الطّيبي، شرف الدِّين، **الخلاصة في معرفة الحديث**، تحقيق: أبو عاصم الشّوامي الأثري، المكتبة الإسلاميّة للنّشر والتّوزيع والرّواد للإعلام والنّشر، ط1، 1430هـ/2009م.

24. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف القرطبيّ، **الاستذكار**، تحقيق: سالم محمّد عطا ومحمّد علي معوض، دار الكتب العلميّة – بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.

25. العراقي، أبو الفضل زين الدِّين، **شرح التّبصرة والتّذكرة ألفيّة العراقي**، تحقيق: عبد اللّطيف الهميم وماهر ياسين فحل، دار الكتب العلميّة- بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ/2002م.

26. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1415هـ/1995م.

27. ابن قنفذ، أبو العبّاس أحمد بن حسن بن الخطيب القسنطينيّ، **الوفيات**، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط4، 1403هـ/1983م.

28. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدِّمشقي، **البداية والنِّهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التّركي، دار هجر للطِّباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، ط1، 1418هـ/1997م.

29. المجلس الأعلى للشُّؤون الإسلاميّة- وزارة الأوقاف المصريّة، **الموسوعة الإسلاميّة العامّة**، إشراف: محمود حمدي زقزوق، القاهرة، 1424هـ/2003م.

30. مخلوف، محمّد بن محمّد، **شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة**، المطبعة السّلفية ومكتبتها – القاهرة، 1349هـ.

31. المناوي، زين الديِّن محمّد، **اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر**، تحقيق: المرتضي الزّين أحمد، مكتبة الرّشد – الرياض، ط1، 1999م.

32. ابن مندة، أبو القاسم عبد الرّحمن العبدي الأصبهاني، **المستخرج من كتب النّاس للتّذكرة والمستطرف من أحوال الرِّجال للمعرفة**، تحقيق: عامر حسن صبري التّميمي، وزارة العدل والشُّؤون الإسلاميّة – البحرين.

33. الميلي، مبارك بن محمّد، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب- الجزائر، 1406هـ/1986م.

34. نويهض، عادل، **معجم أعلام الجزائر**، مؤسّسة نويهض الثّقافية للتّأليف والتّرجمة والنّشر- بيروت، لبنان، ط2، 1400هـ/1980م.

35. الونشريسيّ، أبو العبّاس أحمد بن يحي التِّلمساني، **كتاب وفيات الونشريسيّ**، تحقيق: محمّد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر للنّشر والتّوزيع والتّصدير، ط1، 2009م.